ابو بكر الصديق و أسماء رضي الله عنهما

هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي. أبو بكر. أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر التيمي. ولد سنة 51 ق. هـ (573م) . أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ,وأول الخلفاء الراشدين. سمي بالصديق لأنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء, وقيل لأنه كان يصدق النبي في كل خبر يأتيه من السماء. كان يدعى بالعتيق; لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار. كان سيدا من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم, وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية. كان له في عصر النبوة مواقف كبيرة , فشهد الحروب واحتمل الشدائد وبذل الأموال , وكان رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة وإليه عهد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس حين اشتد به المرض. بويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنة 11 للهجرة. حارب المرتدين والممتنعين عن أداء الزكاة وأقام دعائم الإسلام. افتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. توفي ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة وهو ابن ثلاث وستين سنة, وكانت مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف
استخلاف أبي بكر: اجتماع السقيفة
**التزاحم على الخلافة بين الأنصار والمهاجرين**
بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم جرى تزاحم على الخلافة بين الأنصار والمهاجرين. فقد تداعى الخزرج - وهم أحد حزبي الأنصار- إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة, ليختاروا زعيمهم سعد بن عبادة خليفة للمسلمين.
فعلم بالأمر عمر بن الخطاب وأبو بكر فسارعا إلى السقيفة ومعهما نفر من قريش. وقام حوار بينهم وبين الخزرج, وكانت حجة هؤلاء أن الأنصار آزروا النبي صلى الله عليه وسلم ونصروه فهم أحق الناس أن يكون خليفته منهم.
وكانت حجة الجانب القرشي أحاديث الرسول التي تدل على أن الخليفة ينبغي أن يكون قرشيا ومنها قوله: الأئمة من قريش ولما اشتد الجدل وعلت الأصوات تقدم عمر إلى أبي بكر وبايعه وتبعه من قدم من القرشيين, وعلم الأوس بالأمر فجاءوا وانضموا إلى الجانب القرشي وبايعوا أبا بكر, وانتقل أبو بكر بعد ذلك إلى المسجد فبايعه الناس, وكانت مبايعة أبي بكر, كما قال عمر, فتنة وقى الله شرها
**موقف الهاشميين من بيعة أبي بكر**
يرى الهاشميون أن الخلافة من حق علي ابن أبي طالب, فهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء وأول شاب دخل في الإسلام . ولم يحضر علي اجتماع السقيفة, ولم يحضر معه عمه العباس لأنهما كانا مشغولين بتجهيز الرسول.
ولما علموا بمبايعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة سكتوا على مضض ولم يبايعوا أبا بكر وجاراهم في ذلك طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام, وظلوا ممتنعين عن مبايعة أبي بكر ستة أشهر أي بعد وفاة فاطمة بنت الرسول, لأنها لم تكن راضية عن أبي بكر ولأنها كانت حانقة عليه لأنه منعها ميراث أبيها مستندا إلى حديث الرسول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة .
**موقف بني أمية من بيعة أبي بكر**لم يكن لبني أمية أمل في أن تكون الخلافة فيهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم, فقد حاربوه وكانوا أشد الناس عداوة له ولصحابته, كما أنهم كانوا آخر الناس إسلاما, ولكنهم سعوا أن يسعروا فتنة بين المسلمين وأن يوقعوا بين أبي بكر وعمر, وشيعتهم من قريش, وبين علي ابن أبي طالب وشيعته من بني هاشم, وقد تولى ذلك أبو سفيان ابن حرب, فما أن بلغه مبايعة أبي بكر حتى هرع إلى سقيفة بني ساعدة وأخذ ينادي غاضبا: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم, يا آل عبد مناف, ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟ ثم انطلق إلى علي ابن أبي طالب وقال له: ابسط يدك أبايعك, فوالله لو شئت لأملأتها عليه - يقصد أبا بكر- خيلا ورجلا.
ولم يكن علي بغافل عما في نفس أبي سفيان, فما كان جوابه إلا أن قال له: يا أبا سفيان, إنك ما أردت إلا الفتنة, وإنك والله لطالما بغيت للإسلام شرا, فلا حاجة لنا في نصيحتك, إنا وجدنا أبا بكر أهلا لها, فانصرف أبو سفيان خائبا .
وهكذا برزت في بيعة أبي بكر أول ظاهرة للفرقة بين المسلمين. وقد رتب الفقهاء على الطريقة التي تمت بها بيعته قاعدة في أصول الحكم وهي أن الإمامة (الخلافة) تنعقد ببيعة واحد يتبعه الحاضرون في بلد الإمام, ولا تتوقف على الغائبين عنها, فبيعة أبي بكر انعقدت بمبايعة عمر ثم تبعه أهل المدينة وبايعوه .
الزهراء
مدينة من القصور تقع شرقي غرناطة بناها عبدالرحمن الناصر الأموي سنة 325 هـ لتكون متنزها له وأنفق في عمارتها وتزيينها الكثير وأسرف فيه. وتقع في الشمال الغربي من قرطبة مدينة (الزاهرة) بناها المنصور بن أبي عامر لتكون مقرا له. وقد خربت المدينتان وأصابهما ما أصاب غيرهما من مدن الأندلس العربية .

**بيعة عمر**
رغب ابو بكر الصديق رضي الله عنه في شخصية قوية قادرة على تحمل المسئولية من بعده ، واتجه رأيه نحو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستشار في ذلك عدد من الصحابة مهاجرين وأنصارا فأثنوا عليه خيرا ومما قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه : ( اللهم علمي به أن سريرته أفضل من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله ) وبناء على تلك المشورة وحرصا على وحدة المسلمين ورعاية مصلحتهم، أوصى أبو بكر الصديق بخلافة عمر من بعده ، وأوضح سبب اختياره قائلا : (اللهم اني لم أرد بذلك الا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم ، واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم ). ثم أخذ البيعة العامة له بالمسجد اذ خاطب المسلمين قائلا : (أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فوالله ما آليت من جهد الرأي ، ولا وليت ذا قربى ، واني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا) فرد المسلمون : (سمعنا وأطعنا) وبايعوه سنة ( 13 هـ ).

**أسماء بنت أبي بكر**
نــسبها :
كانت أسمـاء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - تحمل نسباً شريفاً عالياً جمعت فيه بين المجد والكرامة والإيمان ، فوالدها هو صاحب رسول الله، وثاني اثنين في الغار، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه يقول الشاعر:
ومن من الناس مثل أبـي بـكر …….إنت خلق الخلق بعد الأنبياء (1)
تزوج النبي صلى الله علية وسلم بعائشة رضي الله عنها، بنت الصديق أحد المبشرين بالجنة، وأفضل الصحابة (2)، أما عن جدها فهو عتيق والد أبي بكر ويقال: عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر، القرشي ، التميمي ، ولد بمكة ، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم ، وعالما بأنساب القبائل، وأخبارها وسياستها.أما زوج أسماء فحواري رسول الله الزبير بن العوام وأبنها عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين. وأمها قتيلة بنت عبد الغزى، قرشية من بني عامر بن لؤي ، وقد اختلفت الروايات في إسلامها ، فإذن هي قرشية تيمية بكرية.
مولدهـا:
ولدت أسماء في مكة المكرمة في قبيلة قريش ، أخوها عبد الله بن أبي أبكر أكبر من ببضع سنوات وهي أكبر عن السيدة عائشة بعشر سنوات وأختها من أبيها، وهي من الذين ولدوا قبل الهجرة 27عاما.
إسلامها:
عاشت أسماء رضي الله عنها حياة كلها إيمان منذ بدء الدعوة الإسلامية ، فهي من السابقات إلى الإسلام ، ولقد أسلمت بمكة وبايعت النبي صلى الله علية وسلم على الأيمان والتقوى، ولقد تربت على مبادئ الحق والتوحيد والصبر متجسدة في تصرفات والدها ، ولقد أسلمت عن عمر لا يتجاوز الرابعة عشرة ، وكان إسلامها بعد سبعة عشر إنساناً(3 ).
شخصيتها:
كانت على قدر كبير من الذكاء، والفصاحة في اللسان، وذات شخصية متميزة تعكس جانباً كبيراً من تصرفاتها، وكانت حاضرة القلب، تخشى الله في جميع أعمالها. بلغت أسماء رضي الله عنها مكانة عالية في رواية الحديث ، وقد روى عنها أبناؤها عبد الله وعروة وأحفادها ومنهم فاطمة بنت المنذر، وعباد بن عبد الله، وقد روت في الطب ، وكيفية صنع الثريد ، وفي تحريم الوصل وغيرها من أمور.وكان الصحابة والتابعون يرجعون إليها في أمور الدين ، وقد أتاح لها هذا عمرها الطويل ومنزلتها الرفيعة.
تزوجها رجل عفيف مؤمن من العشرة المبشرين بالجنة ، ألا وهو الزبـير بن العوام، فكانت له خيرة الزوجات، ولم يكن له من متاع الدنيا إلا منزل متواضع وفرس، كانت تعلف الفرس وتسقيه الماء وترق النوى لناضحه، وكانت تقوم بكل أمور البيت ، حيث تهيئ الطعام والشراب لزوجها ، وتصلح الثياب، وتلتقي بأقاربها وأترابها لتتحدث عن أمور الدين الجديد ، وتنقل هذا إلى زوجها ، وقد كانت من الداعيات إلى الله جل وعز.ظلت أسماء رضي الله عنها تعيش حياة هانئة طيبة مطمئنة في ظل زوجها مادام الإيمان كان صادقاً في قلوبهم ، وكان ولاؤهم لله واتباعهم لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.
أنجبت أسماء رضي الله عنها أول غلامٍ في الإسلام بعد الهجرة ، وأسمته عبد الله، وكان الزبير قاسياً في معاملته ، ولكنها كانت تقابل ذلك بالصبر والطاعة التامة وحسن العشرة، وبعد زمن طلقها الزبير بن العوام ، وقيل: إن سبب طلاقها أنها اختصمت هي والزبير ، فجاء ولدها عبد الله ليصلح بينهما ، فقال الزبير: إن دخلت فهي طالق.فدخل، فطلقها.(4)، وكان ولدها يجلها ويبرها وعاش معها ولدها عبد الله ، أما ولدها عروة فقد كان صغيراً آنذاك ، فأخذه زوجها الزبير. وقد ولدت للزبير غير عبد الله وعروة: المنذر ، وعاصم ، والمهاجر ، وخديجة الكبرى ، وأم الحسن ، وعائشة رضي الله عنهم.
وفي أثناء الهجرة هاجر من المسلمين من هاجر إلى المدينة ، وبقي أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينتظر الهجرة مع النبي صلى الله علية وسلم من مكة ، فأذن الرسول صلى الله علية وسلم بالهجرة معه، وعندما كان أبو بكر الصديق رضي لله عنه يربط الأمتعة ويعدها للسفر لم يجد حبلاً ليربط به الزاد الطعام والسقا فأخذت أسماء رضي الله عنها نطاقها الذي كانت تربطه في وسطها فشقته نصفين وربطت به الزاد، وكان النبي صلى الله علية وسلم يرى ذلك كله ، فسماها أسمـاء ذات النطــاقين رضي الله عنها ، ومن هذا الموقف جاءت تسميتها بهذا اللقب.وقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : (أبدلك الله عز وجل بنطاقك هذا نطاقين في الجنة) (5) ، وتمنت أسماء الرحيل مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبيها وذرفت الدموع ، إلا إنها كانت مع أخوتها في البيت تراقب الأحداث وتنتظر الأخبار، وقد كانت تأخذ الزاد والماء للنبي صلى الله علية وسلم ووالدها أبي بكر الصديق غير آبهة بالليل والجبال والأماكن الموحشة ، لقد كانت تعلم أنها في رعاية الله وحفظه ولم تخش في الله لومة لائم.
وفي أحد الأيام وبينما كانت نائمة أيقظها طرق قوي على الباب ، وكان أبو جهل يقف والشر والغيظ يتطايران من عينيه ، سألها عن والدها ، فأجابت: إنها لاتعرف عنه شيئاً فلطمها لطمة على وجهها طرحت منه قرطها (6) ، وكانت أسماء ذات إرادة وكبرياء قويين ، ومن المواقف التي تدل على ذكائها أن جدها أبا قحافة كان خائفاً على أحفاده ، ولم يهدأ له بال ، لأنهم دون مال ، فقامت أسماء ووضعت قطعاً من الحجارة في كوة صغيرة ، وغطتها بثوب ، وجعلت الشيخ يتلمسه ، وقالت: إنه ترك لهم الخير الكثير فاطمأن ورضي عن ولده ، ونجحت أسماء في هذا التصرف ، ونجح محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الوصول إلى المدينة المنورة.

**روايتها عن الرسول:**
روت أسماء رضي الله عنها خمسة وثمانين حديثاً وفي رواية أخرى ستة وخمسين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على أربعة عشر حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وانفرد مسلم بمثلها، وفي رواية أخرج لأسماء من الأحاديث في الصحيحين اثنان وعشرون المتفق عليه منها ثلاثة عشر والبخاري خمسة ولمسلم أربعة.
**مـــواقف وأحـــــداث:**كانت أسماء تأمر أبناءها وبناتها وأهلها بالصدقة تقول: أنفقوا ، أو أنفقن ، وتصدقن ، ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل، لم تفضلن شيئاً ، وإن تصدقتن لم تجدن فقده. وكانت شاعرة ناثرة ذات منطق وبيان ، فقالت في زوجها الزبير ، لما قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع ، وهو منصرف من وقعة الجمل:
غدا ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لو حدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد (7)
وعن عبد الله بن عروة عن جدته أسماء قال: قلت لها: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله علية وسلم يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله ، تدمع أعينهم ، وتقشعر جلودهم. قال: فأن ناساً إذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشياً عليه. قالت: أعوذ بالله من الشيطان.
وفي خلافة ابنها عبد الله أميراً للمؤمنين جاءت فحدثته بما سمعت عن رسول الله بشأن الكعبة فقال: إن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: (لولا حداثة عهد قومك بالكفر، لرددت الكعبة على أساس إبراهيم ، فأزيد في الكعبة من الحجر). فذهب عبد الله بعدها وأمر بحفر الأساس القديم ، وجعل لها بابين ، وضم حجر إسماعيل إليها، هكذا كانت تنصح أبنها ليعمل بأمر الله ورسوله.
وقد كانت امرأة جليلة تقية ورعة ، جادة في الحياة ، عندما قدم ولدها المنذر بن الزبير من العراق أرسل لها كسوة من ثياب رقاق شفافة تصف الجسد فرفضتها ، فقال المنذر: يا أماه ، إنه لا يشف ، قالت: إنها إن لم تشف فإنها تصف. ومن جرأتها وجهادها خروجها مع زوجها وأبنها في غزوة اليرموك.
**آخـر المهاجــرات وفاة:**
توفيت أسماء سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابنها بقليل ، عن عمر يناهز مائة سنة ، ولم يسقط لها سن ولم يغب من عقلها شيء(8) ، وانتهت حياة أســماء ذات النطاقين رضي الله عنها وأرضاها ، وانتقلت إلى جوار ربها ، تاركة دروساً وعبر ومواعظ خالدة في الإسلام فقد كانت بنتاً صالحة، وزوجةً مؤمنةً وفية، وأماً مجاهدة ربت أبناؤها على أساس إيماني قوي، وكانت صحابية وابنة صحابي وأم صحابي وأخت صحابية ، وحفيدة صحابي ، ويكفي أن خير الخلق نبينا مــحمد صلى الله عليه وسلم لقبها بالوسام الخالد أبد الدهر(بــذات النــطاقــين، (9) فهنيئاً لك أيتها الام الفاضلة .